

المنظومة الحموية بمدينة كويكول (جميلة)

The thermal baths in the city of Cuicul (Djemila)

د. / دحمان رياض

مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط الجزائر LECMMA بجامعة الجزائر 2

قسم الآثار - جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

البريد الالكتروني: dahmane_riad@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/05م. تاريخ القبول: 2025/01/16م. تاريخ النشر: 2025/12/31م

الملخص:

هذا المقال موضوعه المنظومة الحموية بالمعنى العام، والذي يدخل ضمنه شبكة الحمامات التي بنيت بالمدينة في الفترة الرومانية، على اختلاف طبيعتها ما ان كانت عامة أو خاصة، وربطها بمجالها العمراني، إضافة الى مكونات كل واحدة منها ضمن مخطّطها الأصلي وما صاحبها من تغيّر في فترات لاحقة، ما جعل البعض منها يستمر في الاشتغال لأكثر من ثلاث قرون، في حين البعض الآخر حوّل الى وظيفة أخرى في الفترة المسيحية على غرار حمامات المعمدية وحمامات باخوس التي بنيت فوقها قاعة ذات سبع حنيات. كما يبيّن مدى توقّر هذه الحمامات في رقعة مكانية محدودة مقارنة مع مدن أخرى، رغم هذا نلاحظ ازدواجية الاستغلال بين ما هو مفتوح لعامة الشعب وما هو مبني داخل منازل بعض الخواص، أغلبهم موزعين في النواة الأولى للمدينة.

الكلمات المفتاحية: حمامات؛ منظومة حموية؛ نظام تسخين؛ جميلة؛ كويكول.

Abstract:

This article focuses on the thermal system in its general sense, encompassing the network of baths built in the city during the Roman period, regardless of their nature -public or private—and their connection to the urban landscape. It also examines the components of each bath within its original plan and the changes it underwent in later periods. Some baths continued to function for over three centuries, while others were repurposed during the Christian period, such as the baths of the Baptistry and the Baths of Bacchus, above which a hall with seven apses was built. The article further illustrates the limited geographical distribution of these baths compared to other cities. Despite this, it notes a duality in their use: some were open to the general public, while others were built within the homes of private individuals, most of whom were concentrated in the city's early core.

Keywords: Baths; Thermal System; Heating System; Djemila; Cuicul.

مقدمة:

مدينة كويكول التابعة إقليمياً لمقاطعة نوميديا في أقصى حدودها الغربية، واحدة من المدن الرومانية التي تأسست في مجال مكاني، سمحت وفرة المياه للاستيطان فيها، فأنشأت بها محطات حموية اختلفت مساحتها، لكنها تجتمع في طبيعة مكوناتها، وإن كانت هذه الأخيرة محدودة العدد مقارنة مع مدينة ثاموقادي، إلا أنها خلقت مجالا للاستجمام لسكانها، بل وتعدى الأمر الى وجود أخرى داخل المنازل، أغلبها في النواة الأولى للمدينة.

زوّدت هذه الحمامات بالمياه الباردة والسّاخنة على حدّ سواء، أمّا الباردة فقد جلبت من المنابع القريبة من المدينة بواسطة قنوات نقل المياه، في حين السّاخنة فكانت وفق نظام التسخين بمواقده المختلفة، في ظل هذه المعطيات هل لبت الحمامات حاجة سكان المدينة أم هي كافية مقارنة مع عدد ساكنيها؟ وما هي الحمامات التي وجدت بها؟ عامة كانت أو خاصّة.

1. تمركز الحمامات بمدينة كويكول:

حين معاينة المنشآت الحموية بمدينة كويكول، الظاهر أنّ الغالب فيها بني في النواة الأولى، باستثناء الحمامات الكبرى الجنوبية وحمامات منزل باخوس، طبعا حمامات المعمدية في الحي المسيحي هي الأخرى تخرج عن حيز النواة الأول زمنيا ومكانيا.

الملاحظة الثانية، أنّ هناك عدد لا بأس به من المنازل رغم مساحتها الكبيرة وهندستها الراقية إلا أنّها لا تحتوي حمامات داخلها، منها منزل هيلاس ومنزل أمفريت على الرغم من احتواء هذا الأخير مرابيض خاصة وخزان مياه معتبر السعة وقربه من قناة التمرين (يذكرنا هنا بمنزل كورفديوس بمدينة ثاموقادي)، فالعبرة من توقّر المياه من عدمه لم تكن العائق لإنشاء الحمامات لدى الخواص، ضف الى ذلك أنّ المكانة الاجتماعية هي الأخرى لم يكن لها دخل مباشر في استحداثها، فحين تصفح قوائم النخب التي وجدت بالمدينة في ظل ما اكتشف من نقائش تشير إلى ذلك، وعددها معتبر، فعلى سبيل المثال أكثر من 25 فردا من الطبقة السيناتوروية و43 من الماجيسترا و19 من الفرسان وأكثر من 97 من رجال الدين بمختلف الرتب.

بالعودة الى الحمامات الكبرى الجنوبية، فكان بناءها قريب من مدخل المدينة من جهة، ومن جهة أخرى من القناة الرئيسية التي جلبت المياه لمختلف المنشآت عمومية كانت أو خاصّة، وهو ما ضمن تزويدها بكمية كبيرة من المياه سمحت بخلق أحواض متعدّدة المساحة ومختلفة السّعة، ونفس القناة ضمنت وصول المياه الى النواة الأولى أين وجدت حمامات الكابتول وحمامات منازل كاستوريوس والحمار وأوروبا والحص وترنتيوس دوناتوس، وغير بعيد عنها الحمامات الشرقية والغربية، وهو ما خلق تركيزا لهذه المنشآت في تلك الرقعة داخل المدينة، وما ضمن أيضا سهولة تصريف مياهها خارج المدينة متبعة انحدارها في اتجاه الوادي الذي ينخفض مستواه عن مستوى المدينة مما لا يتسبب في ركودها أو إعاقة تصريفها.

2. تأريخ حمامات مدينة كويكول:

الحمامات العمومية:

- الحمامات الكبرى الجنوبية (183م-184م) من طرف Respublica Cuiculitanorum
- حمامات الكابتول (النصف الأول من القرن الثاني الميلادي).
- الحمامات الشرقية (النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي حسب ايفون آلي).
- الحمامات الغربية؟
- حمامات المعمدية (نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الميلاديين).

الحمامات الخاصة:

- حمامات منزل الحمار (تؤرخ الحمامات بالنظر إلى فسيفساء فينوس التي وجدت بالمنزل وكذا قاعة الإله بالمعبد المحاذي لحمامات المنزل، وكلاهما يؤرخان بنهاية القرن الرابع وبداية الخامس الميلاديين¹، والحمامات بنيت في فترة سابقة لهما، لكنها غير معلومة بوجه الدقة).
- حمامات منزل باخوس (بداية القرن الثالث الميلادي).
- حمامات منزل كاستوريوس (بداية القرن الثالث الميلادي).
- حمامات منزل أوروبا (اختلف الباحثون في تأريخها، فحسب ايفون آلي تؤرخ بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي، في حين بلنشار لومي تؤرخها مع بداية القرن الرابع الميلادي).
- حمامات منزل الجص (قبل القرن الرابع الميلادي؟).
- حمامات تيرنتيوس دوناتوس (نهاية الثالث وبداية الرابع الميلادي).

3. الحمامات العمومية بمدينة كويكول:

3. 1. الحمامات الكبرى الجنوبية (المخطط 01، الشكل 01):

كما ذكرنا آنفاً، أرخت هذه الحمامات بـ (183م-184م) استناداً إلى نقيشتين وجدتا بالمدينة، الأولى نصها كالآتي:

....DIVI HADRIANI PRONEPOTI DIVI TRAINI PARTHICI OBNEPOTI DOVI
NERVAE ADNEPOTI RESPUBLICA CUICULITANORUM THERMAS A SOLO FECIT
DODICANTE M VALERIO MAXIMIANO LEGATO AUGUSTI PROPRAETORE
PATRONO COLONIAE².

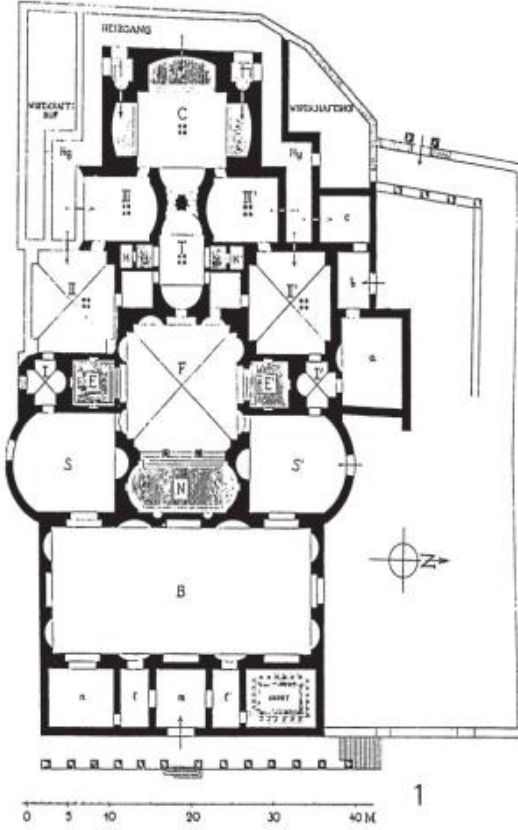
والنقيشة الثانية تشير إلى الزمن الذي تحصل فيه الامبراطور كومودوس على رتبة قنصل للمرة الرابعة، وكان ذلك في 01 جانفي 183م، وتشير كذلك إلى سنة قهره للبريطانيين³ 184م، ونص النقيشة كالآتي:

THEBERT, Y., 2003, p. 200. -1

AE, 1920, 16. -2

CORBIER, P., 2006, p. 173. -3

IMPERATORI CAESARI M AURELIO COMMODO ANTONINO AUGUSTO PIO
SARMATICO GERMANICO MAXIMO PONTIFICI MAXIMO TRIBUNICIA
POTESTATE VIII OU IX IMPERATORI VI OU VII CONSULI IIII PATRI PATRIARE
DIVI M ANTONII PII GERMANICI SARMATICI FILIO DIVI PII NEPOTI DIVI
HADRIANI PRONEPOTI DIVI TRAIANI PANTHICI OBNEPOTI DIVI NERVAE
ADNEPOTIRESPUBLICA CUICULITANORUM THERMAS A SOLO FECIT
DIDECANTE M VALERIO MAXIMIANO LEGATO AUGUSTI PRO PRAETARE ⁴.



بنيت هذه الحمامات بإشراف من المجلس العمومي لمدينة كويكول Republica Cuiculitanorum، وعرفت بعدها عديد التّدخلات لصيانتها وترميمها، ومنها تلك التي أجريت في القرن الرابع على مستوى ارضيتها. أما هندستها فكانت وفق مخطط تناظري محوري من الشرق الى الغرب، سمح باستحداث عديد الغرف والقاعات والأحواض الباردة منها والسّاخنة في مساحة تقارب 3000م².



المخطط 01: مخطط الحمامات الكبرى الجنوبية بمدينة كويكول. عن: THEBERT, Y., 2003, pl. LXXV.

الشكل 01: إعادة تصور للحمامات الكبرى الجنوبية. عن: BAHLOUL GUERBABI, F. Z., 2016, p. 305.

أقسام الحمامات الكبرى الجنوبية:

تتم الإشارة الى أقسام الحمامات بشكل مختصر، فقط للتعريف بها دون الغوص في الدراسة التقنية، حتى لا يطول البحث أكثر من اللازم.

القسم البارد للحمامات: المدخل الرئيسي للحمامات وجد في الجهة الشرقية، عرضه 3.20م، وعلى جانبية مدخلان ثانويان، الغرض من وجودهما التقليل من تدفق المستحمين في حال كثرتهم على مدخل واحد، بعد المدخل وجدت ساحة محاطة برواق معمّد مستطيل الشكل طوله 32م وعرضه 5.80م.

ويضم القسم البارد للحمامات الكبرى الجنوبية، قاعة باردة تقريبا مربّعة الشكل، مساحتها 166م²، يفتح على جانبيها حوضين باردين، ويتقدمها في اتجاه المدخل مسبح مستطيل الشكل مساحته 66م²، وهي مساحة معتبرة تسمح للوافدين على الحمامات السباحة داخله، على جانبي المسبح قاعتين تنتهيان بانحناء كانتا تضمن للمستحمين نزع ملابسهم ووضعها في أماكن مخصصة لذلك.

القسم الساخن للحمامات: يضم القسم الساخن قاعة دافئة وقاعة ساخنة، هذه الأخيرة مزودة بثلاثة أحواض، أما الدافئة المرتبطة بالباردة من الجهة الشرقية والساخنة من الجهة الغربية، تسمح للمستحمين التنقل بين القسمين البارد والساخن، شكلها بيضوي، في حين القاعة الساخنة ذات مساحة تقارب 115م²، تضم ثلاثة أحواض، اثنان منها متقابلان على المحور شمال جنوب والثالثة في جهتها الغربية، تنتهي جميعها بحنية. كما يضم هذا القسم قاعتين للتعرّيق ذات درجة حرارة عالية تأتيها من المواقد اللصيقة بجدرانها، الأول في الجهة الشمالية للقاعة الأولى والثاني في الجهة الجنوبية للقاعة الثانية، ولتسخين القسم الساخن وجدت خمسة مواقد، ثلاثة منها لتسخين أحواض القاعة الساخنة، واثنان لقاعتي التعرّيق والقاعة الدافئة.

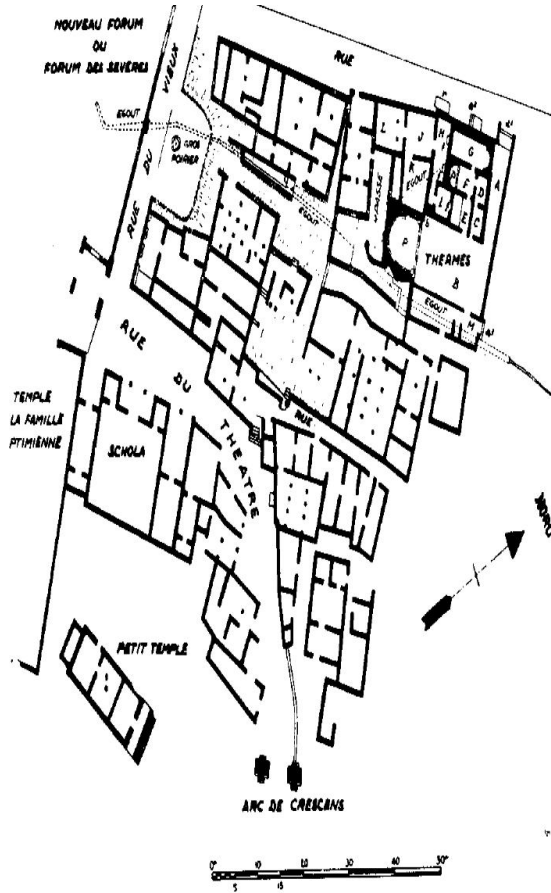
أما عن باقي أجزاء الحمامات فتضم المراحيض على الجانب الشمالي للمدخل مساحتها 49م²، وقاعة للتمارين الرياضية بعده مباشرة، تفتح في جهتها الغربية على المسبح وقاعتي نزع الملابس.

3. 2 الحمامات الشرقية (المخطط 02):

تم التعرف عليها انطلاقاً من كتابة على أرضية فسيفسائية وجدت بها تحمل اسم المالك⁵، تقترح ايفون آلي تأريخها بالنصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وأنها ألحقت بالمنزل حين تهيئة غرف بالطابق الأول، وذلك منتصف القرن الرابع الميلادي.

وحسب بلنشار لومي فإنها تؤرخ بالقرن الرابع الميلادي انطلاقاً من دراسة فسيفساء القاعة الباردة. وهي حمامات صغيرة المساحة، إذ لا تتعدى 620م²، القاعة الباردة لوحدها مساحتها 126م² مزودة بحوض مقاساته 6.40م×5.30م، وقسمها الساخن مشكّل من ثلاث قاعات.

حوّلت هذه الحمامات الى خاصة، فتحول العديد من أجزائها الى وظائف أخرى، مثل قاعة نزع الملابس التي حوّلت الى اسطبل وجزء من القاعة الساخنة حول الى قبو...الخ.



المخطط 02: مخطط الحي الشرقي لمدينة كويكول يضم الحمامات الشرقية. عن: ALLAIS, Y., 1953, p. 51.

وهنا يطرح السؤال حول هذا التّغير، وكيف حوّلت من عمومية الى خاصّة. وهل من الأساس هي ملكية خاصة، وبالتالي تتدرج ضمن قائمة الحمامات الخاصة ذات طابع عمومي على شاكلة حمامات المنزل شمال الكابتول بمدينة ثاموقادي.

أقسام الحمامات:

في الجهة الشماليّة الغربيّة توجد القاعة الباردة، بلّطت أرضيتها بالفسيفساء ذات مشاهد مائيّة، في الزاوية الشماليّة الشرقيّة للقاعة هيّا حوض بارد، شكله نصف دائري مقاساته (6,40م×5م) يتم النزول إليه عبر سلم مكوّن من ثلاث درجات وينخفض عن مستوى القاعة⁶ بـ 1,20م، وفي الركن الجنوبي الشرقي هيّا حوض ثاني، شمال هذه القاعة وجدت قاعتين بطول 9م وعرض 3م.

أما القسم الساخن فهو في الجهة الجنوبيّة الغربيّة للمبنى، يضم قاعة ساخنة مقاساتها (7م×6م) ورواق وأربعة غرف صغيرة.

3. حمامات الكابتول (المخطط 03):

بنيّت شمال الكابتول ويرتبط معها هذا الاخير في أجزاء منها: قاعة الاله جوبتير المرتبطة بقاعة التمارين الرياضية للحمامات.

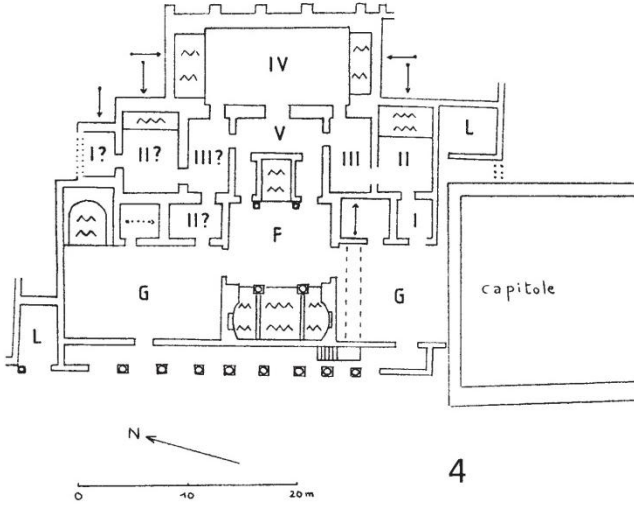
يرتبط معيار تأريخها بالعلاقة بينها وبين الكابتول والفوروم ككل، حيث تشير الدلائل إلى أنّها بنيت بعدها مباشرة، فمن وجهة نظر فيفيري يؤرخ الكابتول بالنصف الأول من القرن الثاني الميلادي. هذه الحمامات ذات مخطط تناظري، مساحتها 1000م²، مع إمكانية أن تكون مساحتها الأصلية ما بين 1200م² و1300م².

أقسام حمامات الكابتول:

القاعة الباردة مستطيلة الشكل، تبلغ مساحتها 90م²، تحتوي على حوضين، الشرقي مرتبط مع غرفتين تؤديان إلى قاعة التمارين الرياضية، أمّا الغربي الأكبر من حيث المساحة مقارنة مع سابقه، مقسّم بدوره

إلى ثلاث أحواض، مركزي تقريبا مربع الشكل والجانبين ينتهيان بحنية نصف دائرية. بلّطت أرضيتها بفسيفساء من الرخام.

القسم الساخن يضم عديد القاعات والغرف مختلفة الحدة في درجة الحرارة، أما الدافئة فترتبط مع



الباردة في الجهة الغربية، ومن الشرق مع القاعة الساخنة، مسخنة بطريقة غير مباشرة، من الجنوب عن طريق قاعة التّعريق المزودة بحوض مياهه عالية الحرارة، ومن الشمال بنفس الطريقة، إذ يشكّل التناظر المحوري على امتداد (القاعة الساخنة والدافئة والباردة) تناظر لمختلف القاعات على الجانبين (شمال/جنوب).

القاعة الساخنة، مساحتها 86م² دون احتساب الحوضين على جانبيها الشمالي والجنوبي، وهما حوضان مستطيلان مسخّنان بواسطة موقدين على جانب كل منهما. أما باقي مصادر الحرارة فهي موزعة على جانبي القسم

الساخن تضمن وصول الحرارة مباشرة إلى الأحواض (أحواض القاعة الساخنة وأحواض قاعتي التعريق).

المخطط 03: مخطّط حمامات الكابتول. عن: THEBERT, Y., 2003, pl. LXXVI, n°04.

3. 4. الحمامات الغربية (المخطط 04):

تقع بين شارعين ثانويين في الجهة الغربية للمدينة، مدخلها يفتح على الديكيومانوس ويؤدي مباشرة إلى القاعة الباردة، هذه الأخيرة مساحتها 66م²، ضمّت حوضين إحداهما تقريبا مربع، مقاساته (2,65×2,55م) والثاني نصف دائري، تمّ التّخلي عنه وإزالته في فترة لاحقة من بنائه.

القاعة الدافئة مقاساتها (3,6×2,75م) مسخّنة بطريقة غير مباشرة، فأرضيتها غير محمولة على الأعمدة المشكّلة لنظام التّسخين تحت أرضي.

القاعة الساخنة، مقاساتها (4×3,7م)، مزودة بحوضين، حافظت هذه الأخيرة على جزء من نظام تسخينها.

الملاحظ على هذه الحمامات هو مساحتها الصغيرة مقارنة مع حمامات عمومية أخرى، هذا من جهة ومن جهة ثانية أنّ العديد من



المخطط 04: مخطط الحمامات

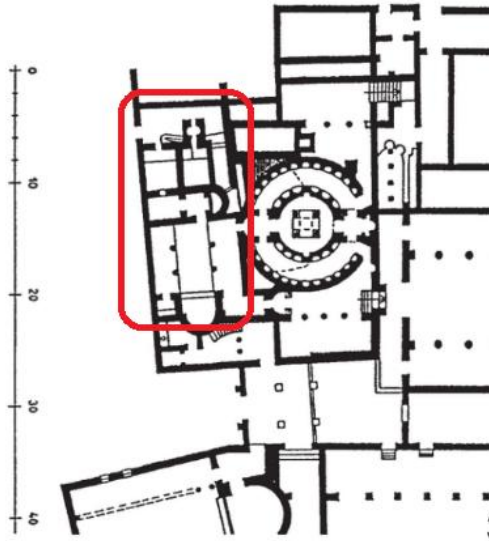
الغربية. عن: ALLAIS, Y., 1971, Fig. 23, p. 120.

أجزائها مسها التّغيير بإزالة أجزاء منها وإضافة أخرى، حيث أزيل الحوض البارد المذكور أعلاه وأزيلت قاعة مقاساتها (2,3م×2,8م)، وتم إضافة رواق وحوض نصف دائري، حسب ايفون آلي كانت تابعة للمنزل المحاذي للحمامات، وتعرّز رأياها بوجود باب يربط بينهما⁷. هذا التّغيير مس أيضا المجال المشغول بالشّارع الثانوي الذي حوّل بدوره إلى رواق.

3. 5. حمامات بيت التعميد (المخطط 05):

بنيت هذه الحمامات كجزء تابع للمعمدية، هذه الأخيرة تؤرّخ بنهاية القرن الرابع ميلادي، والحمامات لا يمكن بأي حال أن تكون منفصلة عنها، فالمدخل الرئيسي لها يقع في الجهة الغربية، يتقدمه بهو يشكّل القاعة الباردة للحمامات.

هذه الحمامات من حيث التصنيف، تضع تيار أما فرضيتين⁸:
الأولى مفادها أنّ الحمامات مرتبطة بالمجمع الكنسي في موقعها ووظيفتها، كمجال للغسل قبل التعميد والدخول في المسيحية.
الثانية، أنّها حمامات صغيرة جعلت لسكاني الحي، أو أنّها حمامات خاصّة قبل أن تلحق ببيت التعميد. على كل حال هي حمامات صغيرة، مساحتها تقارب 200م².



المخطط 05: مخطط حمامات بيت التعميد. عن:

THEBERT, Y., 2003, pl. LXXXI, n°03.

تضم هذه الحمامات قاعة باردة مقسّمة إلى ثلاث أجنحة بواسطة أربعة أعمدة، وتحتوي على حوض نصف دائري في جهتها الجنوبية.

وبخصوص القسم الساخن وحسب تيار⁹، يتكوّن هذا القسم من قاعة مزوّدة بحوض، ترتبط مع القاعة الباردة من جهة ومع الساخنة من جهة أخرى، وهي قاعة دافئة، فحرارتها تأتيها بطريقة غير مباشرة، حوضها هو الآخر دافئ ينتهي بحنية نصف دائرية، تفتح هذه القاعة على أخرى مجاورة لها، هي الأخرى دافئة، شمال هذين القاعتين تتموضع اثنان آخرا، كل واحدة مزوّدة بحوض مستطيل تأتيهما الحرارة من الموقدين المهيّأين في جهتيهما الشماليّة.

7- ALLAIS, Y., 1971, p. 114.

8- THEBERT, Y., 2003, p. 203.

9- Ibid.

4. الحمامات الخاصة بمدينة كويكول:

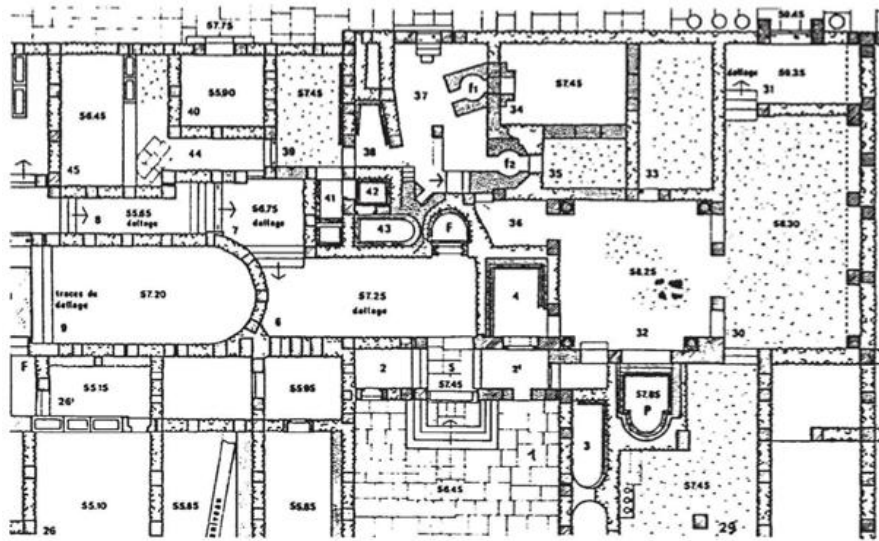
4. 1. حمامات منزل أوروب (المخطط 06):

يقع منزل أوروب شمال المدينة في النواة الأولى، على مقربة من سوق كوزينوس، وبالتالي لا يبعد عن الفوروم ومكوناته، أما الحمامات فهي في الجهة الشرقية للمبنى، يحدها من الشمال هيئات سكنية، ومن الغرب الكاردو الكبير ومن الجهة الشرقية شارع ثانوي يفصلها عن حمامات الكابتول، ومن الجنوب هيئة سكنية. وهي مكونة من حمامين الأول جنوب المنزل، والحمامات الصغرى في الجهة الشمالية الغربية للأولى.

يتم الوصول الى الحمامات عبر ثلاث مداخل خارجية وفي الجهة الرابعة من داخل المنزل، وبخصوص تأريخها وجب التعرف على زمن بناء الاثنين، وهل هما مترامنان أم لا؟ وما الغرض من وجودهما معا في مجال واحد؟

وبالنظر الى الفسيفساء التي اكتشفت بالمنزل، والتي تؤرخ حسب ايفون آلي بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلاديين، في حين تؤرخها بلنشار لومي ببداية القرن الرابع الميلادي، وان كان موضوع اختطاف الأميرة أوروب شاع منذ القرن الثاني الميلادي سواء في التبليطات الفسيفسائية أو الرسومات الجدارية في كثير من المنازل الرومانية.

النقطة الثانية المثارة حول حمامات منزل أوروب، يفرضها الفصل أو الوصل بين الحمامين، وغرض إنشائهما، وان كان تيار يذهب إلى القول أن الحمامات الصغرى الشمالية ربما خصّصت للنساء¹⁰، ومن



المخطط 06: المخطط العام لمنزل أوروب. عن: BLANCHARD-LEMÉE, M., 1975, fig. 129, p. 129.

وجهة نظر عملية يستبعد هذا الطرح، كون الأصل في الحمامات المنزلية هو تحقيق الخصوصية، ومن جهة أخرى مكان وجود أحواضها على مقربة من رواق الخدمات يستبعد أن يكون الاختلاط بين النسوة والخدم¹¹.

THEBERT, Y., 2003, p. 202. -10

11- دحمان، رياض، 2021م-2022م، ص. 241.

أقسام الحمامات:

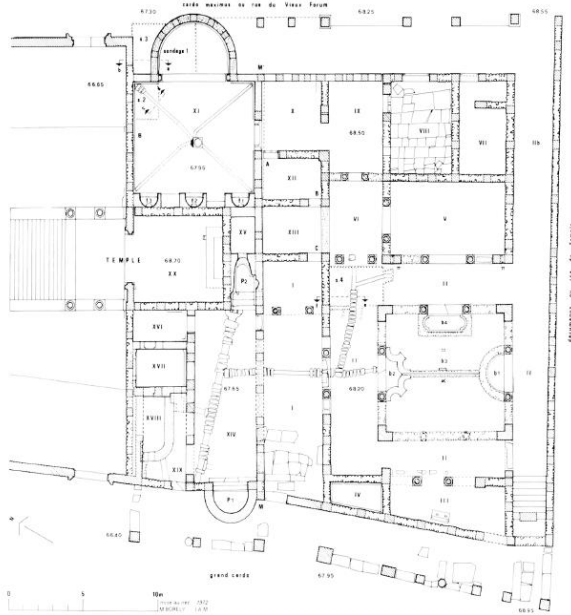
الحمامات الكبرى: تبلغ مساحتها 120م²، تضم قسمين: قسم ساخن وآخر بارد. أما الساخن فيتشكّل من قاعة دافئة مساحتها 16م²، تصل إليها الحرارة بطريقة غير مباشرة من قاعة التّعريق المجاورة لها، هذه الأخيرة تبلغ مساحتها 16.55م²، هيّا في جدارها الشمالي موقد زوّدها بالحرارة بشكل مباشر، أما القاعة الساخنة فهي صغيرة مقارنة مع ما سبق إذ تبلغ مساحتها 6,76م²، هي الأخرى زوّدت بالحرارة من الموقد المهيّا في جدارها الشمالي، كما زوّدت بحوض مسند على ذات الجدار. القسم البارد لهذه الحمامات يتم الدخول إليه من جهتين: الشرقية عبر بهو الدخول الذي يفتح على الشارع الكبير، ومن الجهة الغربية عبر فناء هو الآخر مفتوح على الكاردو الكبير، يضم هذا القسم قاعة باردة مربعة الشكل، مساحتها 33.33م²، وهي مزوّدة بحوض بارد يأتيه الماء من الخزان الموجود في الجهة الغربية، وتتفتح شرقا على القسم الساخن للحمامات وجنوبا على قاعة كبيرة، مرتبطة بالمدخل الشرقي لمنزل أوروبا والذي يفتح على الكاردو، وشمالا على رواق ضيق يؤدي إلى مكان الموقد، كما تفتح على قاعة مجاورة في الشمال الغربي، يحتمل أن تكون قاعة نزع الملابس. حوض هذه القاعة مربع الشكل ينتهي في جهته الغربية بحنية نصف دائرية، نصف قطرها 0.80م.

الحمامات الصّغرى:

تتكوّن من حوضين اثنين، إحداها بارد والآخر ساخن، يتم الدّخول إليها من جهتها الشمالية، أو من الفناء الذي تتفتح عليه الأحواض الثلاث، أما الحوض البارد، فهو مربع الشكل، مساحته لا تتعدى 1.5م²، في حين الحوض الساخن مستطيل الشكل مساحته 2م²، ينتهي بحنية في جهته الجنوبية، نصف قطرها 0.70م.

4. 2. حمامات منزل الحمار (المخطط 07):

الحمامات موجودة في الجهة الشمالية الغربية للمنزل، شمال الدهليز، تبلغ مساحتها 85م²، وهي تتكوّن من عدة قاعات أهمّها الباردة والتي تمتد على خط طولي من الشرق إلى الغرب مساحتها دون احتساب الحوضين 40م²، زينت أرضيتها بفسيفساء تحمل الكتابة asinus nica والتي تعني الحمار المنتصر بالإضافة إلى 73 ميدالية تحمل صورا آدمية وحيوانية وأخرى ميثولوجية.



المخطط 07: منزل الحمار بمدينة كويكول. عن:

BLANCHARD-LEMÉE, M., 1975, fig. 04, p. 24.

ويمكن الدخول إليها عبر ثلاث مداخل، اثنان منها من داخل المنزل وفي الجهة الجنوبية للحمامات تؤدي إلى القاعة الباردة، في حين المدخل الثالث مفتوح على الشارع الرئيسي شمال/جنوب. تؤرخ هذه الحمامات بنهاية القرن الثالث وبداية الرابع الميلاديين، وهي تقريبا الفترة التي عرفت حدوث تغييرا في مخطط المنزل الذي يجمع بين الوثنية والمسيحية في حيز واحد (التحول من الوثنية الى المسيحية).

أقسام الحمامات:

القسم الساخن:

يتكوّن من ثلاث قاعات تقريبا متساوية المساحة، يمكن الدخول إليه عبر مدخلين الأول في الجهة الغربية يفتح على الشارع الكبير (شمال/جنوب) والثاني شمال شرق القاعة الباردة. أما الأولى فهي دافئة مساحتها 7م²، تأتيتها الحرارة بطريقة غير مباشرة من تلك المجاورة لها، ويذكر بالو في تقرير حفرياته لسنة 1909م أنها كانت مزودة بنظام تسخين وأرضيتها حملت فوق أعمدة الهيوكوست.

القاعة الساخنة الأولى مساحتها 7.5م²، يتم تسخينها مباشرة بواسطة الموقد في ركنها الجنوبي الغربي، عرضه 60سم وارتفاعه الحالي 80سم، وهو بهذه المقاسات يوفر حرارة عالية للقاعة، التي من شأنها أن تلعب دور قاعة التّجريق، أو ربما قاعة ساخنة زوّدت بحوض مسند على الجدار الجنوبي لها، يتم تسخينه بطريقة مباشرة من الموقد، والقاعة الساخنة الثانية مساحتها دون احتساب الرّواق الذي يضم الموقدين لا تتعدى 6م²، زوّدت بحوض في جهتها الغربية، يتم تسخينه مباشرة بواسطة الموقد الذي يتموضع في الجدار الغربي لها، هذا الأخير عرضه 40سم، وما يظهر من ارتفاعه سوى 32سم، وهو صغير نسبيا مقارنة بالسابق، ولكنه يوفر حرارة مناسبة للحوض الصغير.

القسم البارد للحمامات:

يضم قاعة باردة مستطيلة الشكل مساحتها 41م²، بلّطت أرضيتها بفسيفساء غنية بالرسومات والزخارف، تنفتح هذه القاعة جنوبا على فناء المنزل بمدخلين، وعلى القسم الساخن بمدخل واحد في ركنها الشمالي الشرقي، في جهتيها الشرقية والغربية يوجد حوضان مختلفان في طريقة البناء وفي جزئيات الشكل وكذا المساحة والسّعة، وهما متقابلان على طول المحور شرق/غرب. الأول يقع في الجهة الشرقية للقاعة الباردة وهو مستطيل الشكل ينتهي بحنية نصف دائرية لا تتطرق على كامل عرض الحوض ولكنها تتوسط المحور (شرق/غرب)، مقاساته 2.82م×1.59م في جزئه العلوي 2.08م×1.59م من القاعدة والحوض، أما الثاني في الجهة الغربية للقاعة الباردة، وهو بشكل نصف دائرة نصف قطرها 1.34م، يرتفع مدخله عن مستوى القاعة الباردة بـ 35سم، في حين ينخفض مستواه من الداخل بـ 1.30م، يتم النزول إليه عبر سلم مكون من ثلاث درجات.

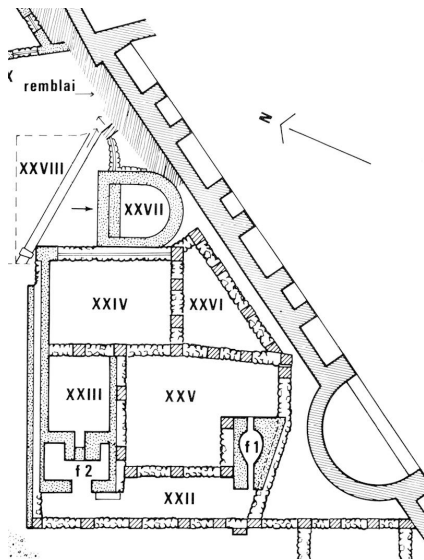
4. 3. حمامات منزل كاستوريوس (المخطط 08، 09):

تأخذ الحمامات تسميتها من المنزل الذي احتوى كتابة فوق تبليط فسيفسائي وجد بالرواق المعمد الشرقي، تذكر اسم صاحب المنزل Castorius، والتي أكتشفت من طرف بالو Ballu سنة 1911م¹²، بالإضافة الى كتابات أخرى توحى بأن هذه العائلة ذات أصل عريق.

يقع منزل كاستوريوس جنوب الساحة العامة وشمال الساحة السيفيرية، أما الحمامات الخاصة بالمنزل فهي اثنان، الأولى في الجهة الجنوبية الشرقية للمنزل، مساحتها 180م² والثانية في الجهة الشرقية مساحتها لا تتعدى 50م².

الحمامات الكبرى (المخطط 08):

تأخذ شكل مثلث قائم عند الزاوية الغربية، مع بعض الانحراف في الجزء الشمالي الشرقي حيث توجد القاعة الباردة.



المخطط 08: الحمامات الكبرى (الجنوبية الشرقية)

لمنزل كاستوريوس. عن: BLANCHARD-
LEMÉE, M., 1975, fig. 62, p. 152.

يتشكّل القسم الساخن من قاعة دافئة وأخرى ساخنة وقاعة للتعريق، بالإضافة إلى موقدين مختلفين في الشكل والمساحة وبالتالي في درجة الحرارة، أما القاعة الدافئة مساحتها 22م²، على الرغم من أن الحكم عليها ما ان كانت دافئة أو باردة أثارت الاختلاف بين الباحثين، إلا أننا نميل الى الرأي القائل أنها دافئة¹³، والقاعة الساخنة مساحتها حوالي 40م²، بشكل طولي ناحية الجنوب، حيث هيأ مكان لحوض مسند على الجدار¹⁴ Alveus، وقاعة التعريق مساحتها 15م²، متصلة مباشرة مع الموقد الشمالي يتم تسخين هذه القاعة بواسطة الموقد عن طريق الأرضية التي لم يبق من عناصرها أي عمود حامل لها، ولكن مستوى فوهته توحى أنّ مستوى الأرضية يرتفع عن المستوى الحالي بما يقارب 70سم على الأقل.

القسم البارد للحمامات، يضم قاعة باردة مربع الشكل، تنتهي في جهتها الجنوبية الشرقية بحوض طوله 2,60م وعرضه 2,48م نهايته نصف دائرية نصف قطرها 1,10م، وهو موجّه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتم النزول إليه عبر سلّم مكوّن من درجين.

12- BALLU, A., 1912, p. 485.

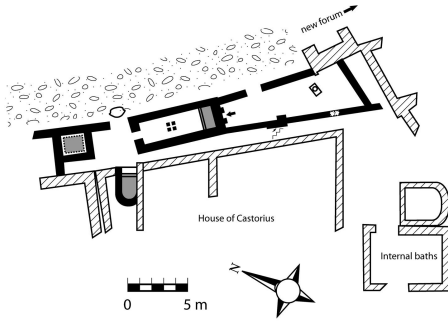
13- دحمان، رياض، 2021-2022م، ص. 263.

14- BALLU, A., 1912, p. 484.

يتمّ الدخول إلى الحوض عبر القاعة الباردة من جهة الشمال، وهذه الأخيرة يمكن الولوج إليها من الجهة الغربية عبر الرواق المعمّد لساحة المنزل، كما ترتبط مع القاعة الدافئة في جهتها الغربية، ممّا تخلق مجال تناوبي بين القسم البارد والسّاخن للحمّامات.

الحمّامات الصّغرى (المخطط 09):

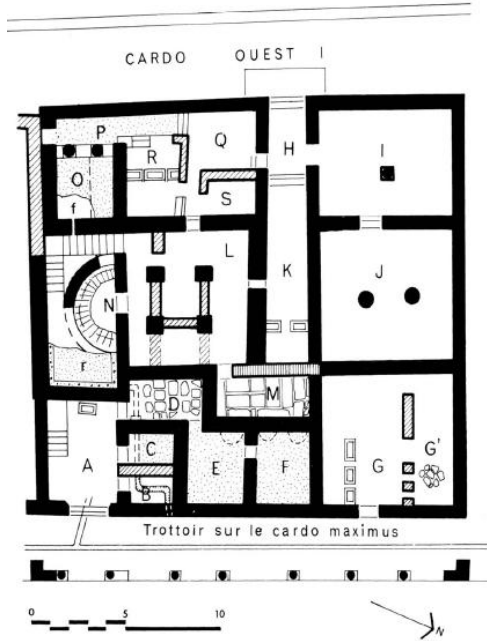
تتخذ شكلا مستطيلا من الشمال إلى الجنوب، تقارب مساحتها 50م² دون احتساب رواق الخدمات في الجهة الجنوبية، يتمّ الدّخول إليها من جهات عدّة عبر مداخل، اثنان منها مفتوحة على الشارع الرئيسي شمال / جنوب، الأول يؤدي إلى رواق الخدمات حيث يوجد الموقد، والمدخل الثاني يؤدي الى قاعات الحمّامات حيث الأحواض الثلاث، أمّا المدخل الثالث فهو مهيباً في الجهة الجنوبية الغربية للحمّامات يؤدي هو الآخر إلى رواق الخدمات سالف الذكر، ويسمح هذا المدخل بالولوج إلى الحمّامات الجنوبية الشرقية وباقي أجزاء المنزل.



المخطط 09: الحمّامات الصّغرى (الشمالية الشرقية)
لمنزل كاستوريوس. عن: SADI, M., 2016, p. 131.

4. 4. حمّامات منزل الجص (المخطط 10):

يقع منزل الجص في الجهة الغربية من الشارع الكبير (شمال/جنوب)، أمّا الحمّامات فمدخلها في الجهة الشمالية عند البهو L في اتجاه القاعة الباردة، لم يبق من آثارها الا القليل نظرا لتعرّض المنزل الى الحريق وتغيّر في وظيفة أجزائها، لكن القليل يوحي بوجود قاعة ساخنة زوّدت بحوض ساخن على حد قول بلنشار لومي، فمياهه تم تسخينها بواسطة أحواض معدنية لتصب بعدها في حوض الاستحمام¹⁵.



المخطط 10: حمّامات منزل الجص. عن: ALLAIS, Y., 1971, p. 106.

4. 5. حمامات منزل باخوس (المخطط 11):

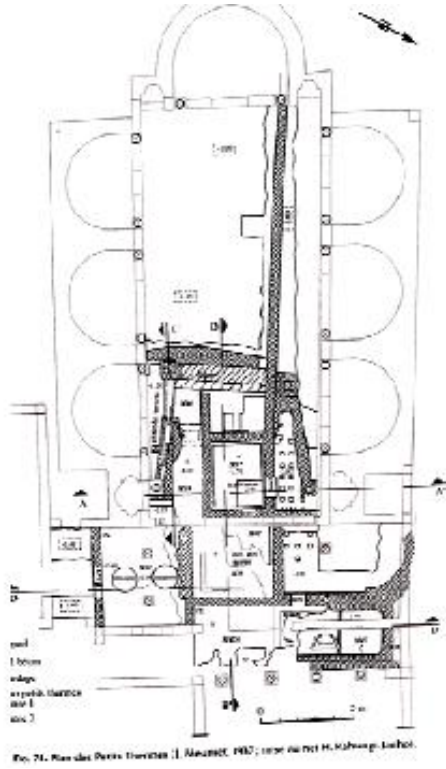
اكتشفت الحمامات أسفل أرضية القاعة ذات سبع حنيات، وتم تنقيتها من طرف "مونيي" بين 1934م و1937م، ويرجع بناءها إلى فترة الاستغلال الأولى للمبنى، وحسب "أيفون آلي" تنخفض بـ2.50م عن مستوى الشارع الذي يفصلها عن الحمامات الكبرى الجنوبية¹⁶.

ويرتبط تأريخها بتاريخ الحمامات الكبرى الجنوبية المؤرخة بـ183م-184م، فعند إجراء مقارنة بين فسيفساء القاعة الباردة لهذه الأخيرة والفسيفساء المكتشفة بحمامات المنزل فهي تؤرخ بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي¹⁷، ومع نهاية القرن الرابع الميلادي بنيت فوقها القاعة ذات سبع حنايا معلنة نهاية استغلال حمامات المنزل¹⁸.

أقسام الحمامات:

لا يوجد لها أثر في الوقت الحالي، فهي بنيت في الأصل مكان القاعة ذات سبع حنايا، لكن حسب تقارير الحفريات، وعلى أساسها تذكر بلنشار لومي أنها تتكوّن من قاعة ساخنة زودت بحوض وقاعة دافئة وحوض نصف دائري، بالإضافة إلى قاعتين مبلطتين بالفسيفساء مختلفة الألوان والأشكال¹⁹.

تذكر حفريات مونيي وجود بقايا أعمدة الهيبيوكوست والبلاطات الآجورية المحمولة فوقها مشكّلة أرضية القاعة الساخنة المنتهية بحنية نصف دائرية، وتمتد هذه الأعمدة إلى قاعة مستطيلة تابعة للقسم الساخن نجهل وظيفتها بوجه الدقة. في حين القسم البارد يتشكل من ثلاث قاعات، أكبرها مساحتها تقدر بـ40م².



المخطط 11: مخطّط حمامات منزل باخوس. عن: FEVRIER, P. A., 1965-1966, p. 201.

16- دحمان، رياض، 2021م-2022م، ص. 219.

17- BLANCHARD-LEMEE, M., 2019, p. 201.

18- Ibid, p. 206.

19- FEVRIER, P.A., 1965-1966, p. 201.

الخاتمة:

عند دراسة المنظومة الحموية بمدينة كويكول، اتضح أنّ ما توفّر من حمّامات داخلها، موزّع بدرجة كبيرة في الجهة الجنوبية، وهي النواة الأولى وما جاورها، عدا الحمّامات الكبرى الجنوبية التي استفادت من كمية كبيرة من المياه بفعل قربها من مدخل المدينة الشمالي من جهة والقناة الجالبة للمياه، وهو ما أدى الى بناء حمّامات ذات مساحة كبيرة سمحت لسكان المدينة استغلالها بشكل واسع، لكن هذا لم يمنع من بناء أخرى في الجهتين الشرقية والغربية، إضافة الى حمّامات الكابيتول، وعن الحمّامات الخاصة اتضح أنّ رغبة الخواص كانت البحث عن خصوصية لبناء حمّامات داخل منازلها، ومن جهة أخرى يظهر في عديد الحمّامات تغيير في مخطّطها الأصلي، وبداية الإعلان عن التّخلي عن بعضها أو تحويل وظيفتها عن تلك الأصلية مثل حمّامات منزل باخوس وحمّامات المعمدية في الحي المسيحي.

قائمة الببليوغرافيا:

1. دحمان، رياض، 2021م-2022م، الحمّامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.

2. AE, 1920,16.

3. AE, 1935, 45.

4. ALLAIS, Y., 1971, «Le quartier occidental de Djemila», in Ant.Afr, 5, pp. 95-120.

5. ALLAIS, Y., 1953, «Djemila le quartier à l'est du forum des sévères», in R. Af., 97, pp. 48-65.

6. BAHLOUL-GUERBABI, F.Z., 2016, Étude et mise en valeur des thermes publics romains deThamugadi-Timgad, Lambaesis-Lambèse, Cuicul-Djemila, thèse de doctorat en architecture, université Mohamed khider- Biskra.

7. BALLU, A., 1921, «Les ruines de Djemila (antique Cuicul)», in R. Af., 62, pp. 201-274.

8. BALLU, A., 1912, «Rapport sur les fouilles exécutées en 1911», in BCTH, pp. 467-498.

9. BLANCHARD-LEMEE, M., 2019, Les mosaïques dans l'édifice appelé maison de Bacchus à Djemila, Paris.

10. BLANCHARD-LEMEE, M., 1975, Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul), Paris.

11. CORBIER, P., 2006, L'épigraphie latine, Paris, 3eme édition.

12. FEVRIER, P.A., «Remarques sur les mosaïques de basse époque de Djemila», in B.S.N.A.F, pp. 85-92.

13. SADI, M., 2016, «Public and private bathing in late antique north africa, changing habits in a changing society», in TRAC (theoretical roman archeologyconference), pp125-140.

14. THEBERT, Y., 2003, Thermes Romains d'Afrique du Nord et leur contexte méditerranéen, Rome.